مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية | EISSN 2602-6767 ISSN: 2437 - 0363 | المجلد 09 / العـدد: 02(2023)، ص 06- 20

بلاغة التصوير الفني، والتناسب اللفظي والمعنوي في المتشابهات اللفظية والقصصية في القرآن الكريم

Rhetoric of artistic depiction, verbal and moral proportionality in verbal and anecdotal similitudes in the Holy Qur'an

محمد شيباني*، إشراف: أ/ د: بن نعمية عبد الغفار

[1] جامعة وهران1 -أحمد بن بلة-، pr.chibani.ens@gmail.com

[2] جامعة وهران1 -أحمد بن بلة-، abdelghaffarbennamia@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/02/25 تاريخ القبول: 2023/12/01 تاريخ النشر: 2023/12/30

ملخص: تهدف هذه الدراسة إلى بيان المقاصد الشرعية والبلاغية -على حد سواء- للمتشابهات اللفظية والقصصية للقرآن الكريم، ومعرفة مدى توظيف القرآن الكريم للتصوير الفني والتناسب اللفظي والمعنوي في الأسلوب القرآني المجيد عموما، والأسلوب القصصي على وجه الخصوص؛ وقد تناولت في هذه الدراسة بعض النماذج القرآنية البديعة الراقية بالتحليل، وبيان مكامن الإعجاز القرآني في الآيات التي تناولتها، والكشف عن الأسرار البلاغية التي تضمنتها، وكيف تم توظيف التصوير الفني في سرد أحداثها ووقائعها وكأننا نشاهدها ونعيشها بتفاصيلها؛ وكل هذا الجمال وهذا البديع وهذه البراعة ترد في نظم عذب سلس كامل التناسق وحسن السبك، متناسب الألفاظ والمعاني؛ يأخذ بالألباب ويأسر القوب.

كلمات مفتاحية: القصة القرآنية، المتشابه اللفظي، التصوير الفني، التناسب اللفظي والمعنوي، البلاغة القرآنية.

Abstract:

This study aims to clarify the legal and rhetorical purposes - both - of the verbal and anecdotal similarities of the Holy Qur'an, and to know the extent to which the Holy Qur'an employs artistic depiction and verbal and moral proportionality in the glorious Qur'anic style in general, and the narrative style in particular; In this study, I dealt with some of the wonderful and elegant Quranic models with analysis, and the statement of the Quranic miracles in the verses that I dealt with, and the disclosure of the rhetorical secrets they contained, and how artistic photography was employed in narrating its events and facts, as if we were watching and living them in their details; And all this beauty, this splendidness, and this ingenuity are contained in sweet, smooth, perfect symmetry, and good casting, proportional to words and meanings. He takes the hearts and captures the hearts.

Keywords: Quranic story, verbal analogy, artistic depiction, verbal and moral proportionality, Quranic rhetoric.

*المؤلف المرسل

مقدمة:

المُتشابه في اللغة: ِاسم فاعل مشتقّ من التشابه؛ يُطْلَقُ في لغة العرب، ويُراد به ما تَماثل من الأشياء وأشبه بعضُه بعضا، وعلى ما يَلْتَبِسُ من الأمور ويستشكل. (الرازي، د. ت) (منظور، 1998) (فارس، 1991) (الفيروزأبادي، 1998) (الزمخشري، 1998) (الفيومي، 1998)، يقول المناويّ رحمه الله: «المتشابه: المشكل الذي يحتاج فيه إلى فكر وتأمّل» (المناوي، 1990).

أمّا المتشابه في القرآن الكريم؛ فحين يطلق فإنّه يراد به قسمان:

القسم الأوّل: المتشابه في مقابل المحكم؛ وهو المراد بقوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ» [آل عمران: ٧]؛ وقد وقع حول هذا القسم خلاف كبير بين العلماء في تحديد ماهيته، وتباينت أقوالهم وآراؤهم، وهذا القسم ليس موضوع بحثي في هذه الدراسة، وعلى الراغب في الاِطِّلَاع – عن كثب – على مذاهب العلماء حول هذا القسم أن يرجع إليه في مظانِّه. (الزركشي، 1988)، (السيوطي، 1998)، (السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، 1988)، (الكرمي، 1986)، (الفوزان، 2002)، (ابن-الوزير، 1987)، (البيهقي، د. ت) (ابن-حزم، 1984).

القسم الثاني: المتشابه اللفظيّ الذي يحصل في بعض آيات القرآن الكريم وسوره، وهو موضوع بحثنا فيما يلي من السطور.

تعريف المتشابه اللفظي لغة:

جاء في كتاب الانتصار للقرآن للقاضي أبي بكر الباقلّاني (ت403هـ) ما نصّه: «وأصل المتشابه في الكلام أن يشبه اللّفظُ اللّفظَ في صيغته وصورته، وإن اختلف معناهما؛ ومنه قوله تعالى: «تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ» [البقرة: ١١٨]، أي: أشبه بعضها بعضا في الكفر والإصرار والعتوّ؛ ومنه قوله تعالى في ثمر الجنّة: «وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا» [البقرة: ٢٥]؛ يعني في الصورة واللون والهيئة، وأن اختلفت الروائح والطعوم...» (الباقلاني، 2001) (الزركشي، 1988)

تعريف المتشابه اللفظي اصطلاحا:

يقصد بالمتشابه اللفظي في الاصطلاح ما جاء في القرآن الكريم مكرّرا في غير ما موضع، بألفاظ متشابهة، وأساليب متنوّعة؛ على أن تتّفق في المعنى، وتتّحد في الغاية؛ وقد بيّنه الإمام

الزركشي بقوله: «هو إيراد القصّة الواحدة في صور شتّى، وفواصل مختلفة؛ ويكثر في إيراد القصص والأنباء» (الزركشي، 1988) (أبو-البقاء، 1998) ويزيد السيوطي بيانا لأنماط المتشابه؛ بعد أن أورد كلام الزركشي؛ فيقول: «.. بأن يأتي في موضع واحد مقدّما، وفي موضع آخر مؤخّرًا... وفي موضع بزيادة، وفي موضع بدونها،... وفي موضع معرّفًا، وفي آخر منكّرًا، أو مفردا وفي آخر جمعا، أو بحرف وفي آخر بحرف آخر، أو مدغما، أو مفكّكا» (السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، 1988) (السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 1998).

ولفظ القصّة في كلام هؤلاء الأعلام لا يعني المفهوم العامّ للقصّة القرآنيّة، كقصّة نوح وموسى ويوسف... إلخ؛ إنّما المراد بالقصّة عندهم الأمر والموضوع مطلقا؛ سواء ورد أثناء قصّة قرآنيّة أو غيرها؛ بدليل قول الزركشي نفسه: «ويكثر في إيراد القصص»؛ فصرّح أنّه يكثر فيه- وهو موضوع بحثنا-؛ دون حصر المتشابه فيه.

وسأحاول في هذه الدراسة الكشف عن أهمية المتشابه اللفظي في التصوير الفني والتناسب اللفظي والمعنوي في القرآن الكريم:

أوّلا: آليّات التصوير الفنّي في المتشابه اللفظي والقصصي في القرآن الكريم.

«التصوير هو الأداة المفضّلة في أسلوب القرآن، فهو يعبّر بالصورة المحسّة المتخيّلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسيّة، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنسانيّ، والطبيعة البشريّة، ثمّ يرتقي بالصورة التي يرسمها، فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجدّدة، فإذا المعنى الذهنيّ هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسيّة لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنسانيّ شاخص حيّ، وإذا الطبيعة البشريّة مجسّمة مرئيّة، فأمّا الحوادث والمشاهد، والقصص والمناظر، فيردّها شاخصة حاضرة، فيها الحياة وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كلّ عناصر التخييل، فما يكاد يبدأ العرض حتّى يحيل المستمعين نظّارة، وحتّى ينقلهم نقلا إلى مسرح الحوادث الأوّل، الذي وقعت فيه أو ستقع، حيث تتوالى المناظر، وتتجدّد الحركات، وينسى المستمع أنّ هذا كلام يتلى، ومثل يضرب، ويتخيّل أنّه منظر يعرض، وحادث يقع، فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو، وهذه سمات الانفعال بشتّى الوجدانات المنبعثة من الموقف، المتساوقة مع الحوادث، وهذه كلمات تتحرّك بها الألسنة، فتنمّ عن الأحاسيس المضمرة، إنّها الحياة هنا، وليست حكايةَ الحياة.

فإذا ما ذكرنا أنّ الأداة التي تصوّر المعنى الذهنيّ والحالة النفسيّة، وتشخّص النموذج

الإنسانيّ أو الحادث المرويّ، إنّما هي ألفاظ جامدة، لا ألوان تصوّر، ولا شخوص تعبّر، أدركنا بعض أسرار الإعجاز في تعبير القرآن.

والأمثلة على هذا الذي نقول هي القرآن كلّه، حيثما تعرّض لغرض من الأغراض التي ذكرناها، حيثما شاء أن يعبّر عن معنى مجرّد، أو حالة نفسيّة، أو صفة معنويّة، أو نموذج إنسانيّ، أو حادثة واقعة، أو قصّة ماضية، أو مشهد من مشاهد القيامة، أو حالة من حالات النعيم والعذاب، أو حيثما أراد أن يضرب مثلا في جدل أو محاجّة، بل حيثما أراد هذا الجدل إطلاقا، واعتمد فيه على الواقع المحسوس والمتخيّل المنظور.

وهذا هو الذي عنيناه حينما قلنا: «إنّ التصوير هو الأداة المفضّلة في أسلوب القرآن»، فليس هو حلية أسلوب، ولا فلتة تقع حيثما اتّفق، إنّما هو مذهب مقرّر، وخطّة موحّدة، وخصيصة شاملة، وطريقة معيّنة، تستخدم بطرائق شتّى، وفي أوضاع مختلفة، ولكنّها ترجع في النهاية إلى هذه القاعدة الكبيرة: قاعدة التصوير.

ويجب أن نتوسّع في معنى التصوير، حتّى ندرك آفاق التصوير الفنّي في القرآن؛ فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالإيقاع، وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور، تتملّاها العين والأذن، والحسّ والخيال، والفكر والوجدان.

وهو تصوير حيّ منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجرّدة، وخطوط جامدة، تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانات، فالمعاني ترسم وهي تتفاعل في نفوس آدميّة حيّة، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة» (سيد-قطب، 1994) (الخالدي، 1983).

هذا هو معنى التصوير الفنّي في القرآن الكريم بأدواته وخصائصه وآفاقه وآثاره، بلسان منظّره، الأديب الكبير سيّد قطب رحمه الله، فللّه درّه، لقد أحدث نقلة نوعيّة في مجال الدراسات الإعجازية واللغويّة والبيانيّة على حدّ سواء، وما كان القرآن ليُفهم بغير توظيف آليات التصوير الفنّي في آياته.

والصورة التي يرسمها القرآن في الآيات المشابهة، لا تختلف باختلاف بعض ألفاظها، ذلك أنّ قاعدة التصوير تنظر إلى معاني القرآن نظرة شاملة موحّدة، فتظهر من خلالها الصورة وضيئة متكاملة، تتلاشى في حركاتها وألوانها وإيحاءاتها تلك الفوارق والاختلافات في

الحروف والكلمات والجمل على حدّ سواء.

على أنّنا سنعرض بعض النماذج القرآنيّة، لنرى ما يضفيه التصوير من جماليات في العبارة القرآنية، والله الموفق.

أوّل هذه النماذج قوله تعالى: «فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ» [الأعراف: ٧٩]. وقوله سبحانه: «فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ» [الأعراف: ٩٣].

الآية الأولى وقعت خبراً عن نبيّ الله صالح عليه السلام، وما قاله لقومه بعد أن أهلكهم الله، أمّا الآية الثانية، فقد سيقت في معرض ذكر نبيّ الله شعيب عليه السلام، وما قاله لقومه بعد هلاكهم.

فالآية الأولى ترسم لنا مشهد نبيّ الله صالح عليه السلام الذي تحدّاه قومه وكذّبوه: ««فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ»، إنّه الإشهاد على أمانة التبليغ والنصح، والبراءة من المصير الذي جلبوه لأنفسهم بالعتوّ والتكذيب» (سيد-قطب، في ظلال القرآن، 1996).

إنه مشهد يعود بالخيال البشريّ إلى الوراء.. إلى ذلك الزمان المتقادم في القدم، ليعيش لحظات مع هذا النبيّ الكريم، ويراه في صورته الحقيقيّة.. يراه في صورة ترسمها ريشة الصدق والوفاء، وصفاء السريرة، ونقاء الضمير، يظهر فيها ذلك النبيّ الأمين عليه السلام، وكيف يحاول من غير كلل ولا ملل إنقاذ قومه من هلاك ودمار محتوم، بهدايتهم إلى الإيمان، والأخذ بأيديهم إلى بَرّ الأمان، ثمّ يلتفت إلى الجانب الآخر، ليرى قوم صالح عليه السلام، فيظهرون في تلك الصورة المظلمة المضطربة المكذّبة بالحقّ الظاهر، والمتحدّية للنبيّ الطاهر؛ ﷺ.

وفي هذا الصراع بين الحقّ والباطل، والهداية والضلال، والغيّ والرشاد.. في خضمّ هذا كلّه تتدخّل سنّة الله في الكون، القاضية بإبطال الباطل ودحضه، وإحقاق الحقّ وإظهاره، وتهيئة الأرض لأهله، بعد تطهيرها من كلّ منغّص. «وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا» [الأحزاب: ٦٢].

وفي خضمّ هذه الصور المتلاحقة، والحركات المتسارعة، والمشاهد المروّعة؛ إذا بالصورة تسترجع هدوءها وسكونها، ويتبدّد ظلامها، ويشعّ نورها من جنبيّ ذلك النبيّ الكريم الرحيم الأمين، الذي يملأ الأسى قلبه، كان عليه السلام يحمل الخير لقومه، يرجو لهم أن يأخذوه وينتفعوا به، لكنّهم زهدوا فيما عنده من الخير العميم، والفضل العظيم، واستبدلوا الذي

هو أدنى بالذي هو خير.. ها هو يعلن أمانته وصدقه في نصحه، ويزحزح نفسه عن كلّ ريبة، فقد أدّى ما عليه، بل هو مجبول على محبّة الخير لقومه، ودعوتهم إليه.. لكنّهم.. بكلّ أسف لا يحبّونه.. لا يحبّون نصحه.. لا يحبّون أيّ ناصح مثله.

ونفس الصورة، ونفس النماذج الإنسانيّة تتكرّر، ونفس المشاهد تتوالى في قصّة شعيب عليه السلام مع قومه، غير أنّ هذه المرّة تضاف حلقة جديدة، من حلقات تلك المشاهد المتخيَّلة، إنّها الحلقة الأخيرة.. يتراءى فيها شعيب عليه السلام، يندفع بين عاطفتين: عاطفة الرحمة بقومه، والشفقة عليهم، وإرادة الخير لهم، وهذا شأن كلّ نبيّ مع قومه وعشيرته، الذين بعث فيهم.

وعاطفة أخرى هي البراءة من قومه، الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله، وماتوا على ذلك.

ويأتي الإعلان من نبيّ الله شعيب قاعدةً عامّة، تكون بعد ذلك منهجا أصيلا للأوّلين والآخرين.. إنّها قاعدة الولاء والبراء.. موالاة الله عزّ وجلّ وحزبه، والبراءة من الشيطان وحزبه.

إنّ شعيبا عليه السلام، كانت الرحمة بقومه تملأ قلبه، يتلهّف لإخراجهم من ظلمات الكفر والفساد والضلال، إلى نور الإيمان والرشاد والهداية.

فلمّا ماتوا وأهلكوا على ضلالهم، فلن يأسى عليهم، ولن يكترث بهم ما داموا قد آثروا الغواية والضلال، على الهداية والرشاد.

«إنّه من ملّة، وهم من ملّة، فهو أمّة وهم أمّة، أمّا صلة الأنساب والأقوام، فلا اعتبار لها في هذا الدين، ولا وزن لها في ميزان الله.. فالوشيجة الباقية هي وشيجة هذا الدين، الارتباط بين الناس إنّما يكون في حبل الله المتين» (سيد-قطب، في ظلال القرآن، 1996).

ومن النماذج القرآنية التي يتجلّى فيها التصوير، قوله تعالى: «سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [الحديد: ١]، وقوله سبحانه: «سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [الحشر: ١]، فمع أنّ آية الحشر زيد فيها ما لم يُزد في آية الحديد، إلّا أنّ هذا الاختلاف في الزيادة، لم يؤثّر في الصورة والمشهد الذي ترسمه الآيتان معاً، وقد أحسن الإمام سيد قطب الحديث عن الآيات في ظلاله، إذ يقول: «هذا المطلع الموحي المختار، وما حشد فيه من خصائص الألوهية، الفاعلة المؤثّرة المبدعة لكلّ شيء، المحيطة بكلّ شيء، المهيمنة على كلّ شيء، العليمة بكلّ شيء، وما تعرضه من إبداع اليد

القادرة، وهي تجول في محيط السموات والأرض، وتتلطّف إلى خبايا الصدور، وطوايا القلوب، وتشرف من علٍ على الوجود وما فيه ومن فيه...

هكذا ينطلق النصّ القرآنيّ الكريم في مفتتح السورة، فتتجاوب أرجاء الوجود كلّه بالتسبيح لله، ويهينم كلّ شيء في السموات والأرض، فيسمعه كلّ قلب مفتوح، غير محجوب بأحجبة الفناء، ولا حاجة لتأويل النصّ عن ظاهر مدلوله، فالله يقول، ونحن لا نعلم شيئاً عن طبيعة هذا الوجود وخصائصه أصدق ممّا يقوله لنا الله عنه.. فـ: «سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» تعني: «سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ».. ولا تأويل ولا تعديل! ولنا أن نأخذ من هذا أنّ كلّ ما في السموات والأرض له روح، يتوجّه بها إلى خالقه بالتسبيح، وإنّ هذا لهو أقرب تصوّر يصدّقه ما وردت به الآثار الصحيحة، كما تصدّقه تجارب بعض القلوب في لحظات صفائها وإشراقها، واتّصالها بالحقيقة الكامنة في الأشياء، وراء أشكالها ومظاهرها.

وقد جاء في القرآن الكريم: «يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ» [سبأ: ١٠]، فإذا الجبال كالطير تؤوّب مع داود عليه السلام، وجاء في الأثر: أخرج مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إن بمكّة حجراً كان يسلّم عليّ ليالي بُعثت، إنّي لأعرفه الآن».. وروي الترمذي بإسناده عن عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه قال: كنت مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بمكّة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله شجر ولا جبل إلا وهو يقول: «السلام عليك يا رسول الله».. وروى البخاري في صحيحه بإسناده عن أنس بن مالك قال: «خطب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى لزق جذع، فلمّا صنعوا له المنبر فخطب عليه، حنّ الجذع حنين الناقة، فنزل الرسول فمسحه فسكن».

وآيات القرآن كثيرة وصريحة في تقرير هذه الحقيقة الكونية: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ» [النور: ٤١].. «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ» [الحج: ١٨].. «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» [الإسراء: ٤٤].. ولا داعي لتأويل هذه النصوص الصريحة، لتوافق مقرّرات سابقة لنا عن طبائع الأشياء، غير مستمدّة من هذا القرآن، فكلّ مقرّراتنا عن الوجود، وكلّ تصوّراتنا عن الكون ينبغي أن تنبع أوّلا من مقرّرات خالق هذا الكون، ومبدع هذا الوجود..» (سيد-قطب، في ظلال القرآن، 1996).

فتأمّل معي أيّها القارئ الكريم كيف يخضع الكون كلّه لله سبحانه: السموات والأراضون، والشجر والجبال، والنجوم والدوابّ، والأفلاك والأحجار، وكلّ ذرّة في الوجود تلهج بتسبيح الله، وتنزيهه وتقديسه وتعظيمه، وتخرّ ساجدة لله سبحانه.. إنّها صورة عجيبة تقشعرّ لها الأبدان، وتفرق لها القلوب السليمة، وتفزع لها الضمائر الحيّة، وتعتبر بها القرائح النقيّة.. سبحانك ربّي أنت وليّي في الدنيا والآخرة.. توفّني مسلما، وألحقني بالصالحين.

وإذا يمّمنا بهذه الآلة الإبداعية الكاشفة– أعني التصوير– موضوع القصص في القرآن، رأينا عجباً.. وكأنّ أحداث الأمم الغابرة، وأخبار الأقوام السابقة، تجري وقائعها في الحاضر الآنيّ، فإذا المشاهد تستعيد جدّتها، وإذا الألفاظ والمعاني الجامدة تستحيل وقائع محسوسة، وصور متحرّكة، مفعمة بالحياة والمشاعر والأحاسيس.

فلو سبحنا بخيالنا في جزئيّة صغيرة من قصّة موسى عليه السلام، التي أفاض القرآن الكريم في ذكرها، وكشف معالمها، وبسط وقائعها، وفق مراحلها المتعدّدة، إلى نهايتها، ولتكن على سبيل المثال مرحلة طفولته التي قال الله فيها: «طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» [القصص: ١ – ١٣].

إنّ هذا المقطع من السورة يعرض مشاهد أولى المحطات في حياة موسى عليه السلام مع فرعون.. إنّها محطّة البحر الخضمّ، يرمى فيه موسى عليه السلام وهو صبيّ صغير لا يقوى إلّا على البكاء.. يا ليته كان كبيراً فيَسْبَح.. يا ليت سواعده قويّة فيتحمّل.. إنّها الأماني الواحدة

تلو الأخرى، تطرأ على خيال من يستعرض هذه الصور الموجعة.. لكنّ الحقيقة التي لا مفرّ منها أنّ موسى عليه السلام، صبيّ صغير.. في ذلك البحر الكبير، تتقاذفه الأمواج من كلّ جانب، وهو مجرّد من كلّ حول وقوّة.

تُرى من وضعه في ذلك المأزق الهالك.. من رمى به في ذلك البحر الخضمّ.. هل هو عدوّه الذي يتربّص به، ويسعى للتخلّص منه، حتّى يأمن شرّه؟ كلاّ! إنّها أُمّه التي ولدته.. يا للعجب!.. إنّ من عادة المرأة أن تحتضن ولدها، وتضمّه إلى صدرها، وترضعه من ثديها، وتحيطه بالرعاية والحبّ والحنان والدفء.. فكيف خالفت هذه المرأة فطرتها، وما جبلت عليه من الرحمة بابنها، والشفقة عليه، وإرادة الخير له.. كيف خالفت ناموس خلقتها!؟.

إنّ أمّ موسى أنموذج للمرأة المؤمنة، المستسلمة لأمر الله، الواثقة بإرادة الله، الراضية بحكم الله.. ومع ذلك فهيّ أمّ.. يكاد الخوف على ابنها، والشوق إليه يقطّع أمعاءها، ويمزّق أحشاءها.. «لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»، ويزداد الأمر شدّة، ويكاد الخوف يقْطع الأنفاس حينما وقع موسى في قبضة فرعون.. ألم يقل لها ربّ العزة سبحانه: «وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ»؟.. أهذا هو الأمن؟ أهذا هو الوعد؟ أهذه هي البشارة؟ وهل كانت المسكينة تخشى عليه إلّا من فرعون؟ وهل كانت ترجف إلّا أن ينكشف أمره لفرعون؟ وهل كانت تخاف إلّا أن يقع في يد فرعون؟.. الآن وقع المحذور، وما كان يُخشى منه.

في هذه اللحظة الحرجة التي أصبح فيها «فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا».. في هذه النقطة التي بلغ فيها الخوف مبلغه ومنتهاه، تتدخّل العناية الإلهية لتخلّص موسى من وحشية فرعون القاتل.. تُرى هل خلّصته بالسلاح والجيوش؟ أم ببذل الجاه والمال؟ كلاّ.. إنّها خلّصته بنسمة حبّ حانٍ في قلب امرأة فرعون.. ذلك الحبّ الرقيق الشفيف، تحدّت به وحشية فرعون، وقسوته وغلظته وحرصه وحذره.. تُرجم في كلمات تنبع من قلب نقيٍّ صافٍ أبيض من الثلج.. «قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ».. ولقد هان فرعون الوضيع على الله تعالى أن يحمِيَ منه الطفل الضعيف بغير هذا..

هذه الوقائع والأحداث المتسارعة في قصر فرعون، تحدث دون علمٍ من أمّ موسى التي أصبحت بفراغ قلبها كالمجنونة، لا عقل ولا وعي ولا قدرة على نظر أو تصريف.. إنّها ملهوفة والهة، لن تكفّ عن الدموع.. لن تسكت عن البحث والمحاولة.. «وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ».. اتّبعي

أثره.. اعرفي خبره.. فتبصر به أخته من بعيد فتعرفه، وتهتبل فرصة لهفتهم على مرضع فتقول لهم: «هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ»؟ فيتلقّون كلماتها وهم يستبشرون.. يودّون لو تكون صادقة، فينجو الطفل العزيز المحبوب، «وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» [يوسف: ٢١].. «فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».. ها هو الوعد تحقّق، والبشارة تحقّقت أيضاً، «وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

نموذج قرآني آخر يمثّل الكفر في أعلى صوره، هو قصّة إبليس، وهي في عمومها تعرض مشهداً مروّعاً من التحدّي السافر من إبليس لربِّ العزّة سبحانه.. هذا الربّ الذي يتوجّه له الوجود كلّه بالدينونة والتذلّل، والخضوع والتعظيم والتسبيح، والسجود والعبودية.. يتجرّأ إبليس فيتحدّاه ويعصيه ويتمرّد عن سلطانه.. إنّه مشهد لا تتحمّله الفطر السليمة، والقلوب الحيّة، ولا تقوى على متابعة هذا المروق، وهذا التمرّد، وهذا الخروج، وهذا التحدّي، وهذه السفالة، وهذه النذالة، وهذا الجنون..

على أنّ هذه القصّة وإن وقع الإخبار عنها في الماضي إلّا أنّ أحداثها لا تزال مستمرّة إلى أن يحكم الله بين حزب الشرّ المتمثّل في إبليس وأتباعه، وحزب الخير، وهم العصبة المؤمنة بربّ العزّة سبحانه، فنسأل الله أن يكفِيَنا شرّ الشيطان وأتباعه. آمين.

ولعلّنا ندرك تماما مدى تحقيق التصوير في القرآن الكريم للإمتاع والإقناع، وتنشيط آلة الفكر، وإثارة مشاعر الوجدان، والتأثير في النفوس، وحملها على التسليم والإذعان.

إنّ القرآن الكريم، وما جاء فيه من أخبار وقصص، ومواعظ وأحكام، وتشريعات وترغيب وترهيب، كلّ هذه المواضيع مقاصدها معطّلة، ما لم يوظّف فيها أسلوب التصوير.. فإذا أُعمِل التصوير في آيات الذكر الحكيم، استحالت منْظراً جديداً على النفس الإنسانيّة، وكأنّه لم تعهده من قبل، فيؤتي ثماره من المقاصد السامية والغايات النبيلة كلَّ حين بإذن ربّه.

ثانيا: التناسب اللفظي والمعنوي للمتشابهات اللفظية والقصصية في القرآن الكريم.

إنّ أكثر لطائف القرآن مودعةٌ في الترتيبات والروابط؛ أعني: ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتّى يكون كالكلمة الواحدة، متّسعة المعاني، منتظمة المباني، وكما أنّ القرآن معجز بسبب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بسبب ترتيبه، ونظم آياته،

ومناسبة ألفاظه ومعانيه.

ومن تأمّل القرآن الكريم عامّة، وما جاء فيه من القصص خاصّة، وكيف أنّها ترد في موضع بألفاظ وعبارات ونظم وأسلوب، ثمّ تساق في موضع آخر، بألفاظ وعبارات ونظم وأسلوب، غير الألفاظ والعبارات والنظم والأسلوب الذي سيقت بها في الموضع السابق، وهكذا كلّما تعدّدت المواضع والسياقات، كلّما تنوّعت الألفاظ والمعاني، بما يخلب اللّبّ، ويأخذ بمجامع العقل؛ روعة وانبهاراً وسحراً، وهذا حسب الإمام البقاعي رحمه الله ممّا: «يرسّخ الإيمان في القلب، ويتمكّن من اللّبّ، وذلك أنّه يكشف أنّ للإعجاز طريقين: أحدهما نظم كلّ جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، والأوّل أقرب تناولاً وأسهل ذوقا، فإنّ كلّ من سمع القرآن من ذكيّ وغبيّ يهتزّ لمعانيه، وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط، ورهبة مع انبساط، لا تحصل عند سماع غيره، وكلّما دقّق النظر في المعنى، عظم عنده موقع الإعجاز، ثمّ إذا عَبَرَ الفطِن من ذلك إلى تأمّل ربط كلّ جملة بما تلته، وما تلاها، خفي عليه وجه ذلك، ورأى أنّ الجمل متباعدة الأغراض، متنائية المقاصد، فظنّ أنّها متنافرة، فحصل له من القبض والكرب أضعاف ما كان حصل له بالسماع من الهزّ والبسط... فإذا استعان بالله، وأدام الطَّرْق لباب الفرج؛ بإنعام التأمّل وإظهار العجز، والوثوق بأنّه في الذروة من إحكام الربط، كما كان في الأوجّ من حسن المعنى واللفظ، لكونه كلامَ مَنْ جلّ عن شوائب النقص، وحاز صفات الكمال، إيمانا بالغيب، وتصديقا للربّ، قائلا ما قاله الراسخون في العلم: «رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ» [آل عمران: ٨]، فانفتح له ذلك الباب، ولاحت له من ورائه بوارق أنوار تلك الأسرار، ورقص الفكر منه طربا، وشكر لله استغرابا وعجباً، وشاط لعظمة ذلك جَنانُه، فرسخ من غير مريّة إيمانُه، ورأى أنّ المقصود بالترتيب معان جليلةُ الوصف، بديعة الرصف، عالية الأمر، عظيمة القدر،... فسبحان من أنزله، وأحكمه، وفصّله وغطاه، وجلّاه، وبيّنه غاية البيان وأخفاه» (البقاعي، 1995).

«والمناسبة في اللغة هي القرابة،... وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها، ومرجعها والله أعلم إلى معنى ما رابط بينهما: عامٍّ أو خاصٍّ، عقليّ أو حسيّ أو خياليّ، وغير ذلك من أنواع العلاقات... وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء» (الزركشي، 1988).

وسنورد بعض الآيات التي تكشف عن مناسبة الألفاظ لمواضعها حسب السياق المعنوي واللفظي للآيات، على سبيل الإيجاز، ودون إخلال في البيان، من ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: «فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ» [البقرة: ٢٣]، وفي غيرها بإسقاط "من" لأنها للتبعيض، ولمّا كانت سورة البقرة سنام القرآن، وأوّله بعد الفاتحة، حسن دخول "من" فيها ليعلم أنّ التحدّي واقع على جميع القرآن من أوّله إلى آخره، بخلاف غيرها من السور، فإنّه لو دخلها "من" لكان التحدّي واقعا على بعض السور دون بعض، ولم يكن ذلك بالسهل.

وكذلك قوله تعالى في البقرة: «فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ» [البقرة: ٣٨]، وفي طه: «فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ» [طه: ١٢٣]، لأنّ ما جاء في طه مناسب لما قبله في قوله: «يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ» [طه: ١٠٨].

وقوله تعالى في قصّة موسى وقومه مع فرعون في البقرة: «يُذَبِّحُونَ» بغير واو على أنّه بدل من «يَسُومُونَكُمْ» وتفسير له. وفي الأعراف بلفظ: «يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ» مناسبا لما قبله: «سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ»، وفي إبراهيم: «وَيُذَبِّحُونَ» بالواو، لأنّه من كلام موسى عليه السلام، يعدّد المحن عليهم فحسن العطف، فجاء كلّ على ما يناسب مقامه الذي ورد فيه.

وكذلك ما جاء من تقديم لفظ "اللعب" على "اللهو" تارة، وتأخيره عنه أخرى. وإنّما قدّم "اللعب" على الأكثر، لأنّ اللعب زمان الصبا، واللهو زمان الشباب، وزمان الصبا متقدّم على زمان اللهو، وقدّم "اللهو" في الأعراف لأنّ ذلك يوم القيامة، فذكر على ترتيب ما انقضى، وبدأ بما به الإنسان انتهى من الحالين.

وأمّا العنكبوت فالمراد بذكرهما زمان الدنيا، وأنّه سريع الانقضاء، قليل البقاء «وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» [العنكبوت: ٦٤]، أي الحياة التي لا أبد لها، ولا نهاية لأبدها، فبدأ بذكر اللهو، لأنّه في زمان الشباب، وهو أكثر من زمان اللعب، وهو زمان الصبا.

ومنه تقديم لفظ "الضرر" على "النفع" في الأكثر، لأنّ العابد يعبد معبوده خوفا من عقابه أوّلا، ثمّ طمعا في ثوابه كما تقرّر لدى بعض أهل العلم.

والحقيقة غير ذلك، فإنّ الواو تفيد العطف والوصل، من غير ترتيب بين المعطوفات والموصولات، ثمّ إنّه ورد في القرآن الكريم تقديم الطمع على الخوف، في مواضع أخرى، وذلك في قوله تعالى: «إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ» [الأنبياء: ٩٠]، وقوله تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ

وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا» [الإسراء: ٥٧].

فهل يفهم من الآيتين أنّهم يدعون الله رغبا، أي: طمعا في رحمته أوّلا، ثمّ رهبا، أي: خوفا من عقابه ثانيا، على مذهب الكرماني؟، كلاّ! بل المأثور عن الأئمّة المحقّقين أنّ المؤمن يعبد الله بالحبّ والخوف والرجاء؛ ولهذا قال بعض السلف: «من عبد الله بالحبّ وحده، فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده، فهو حروريّ، ومن عبده بالرجاء وحده، فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء، فهو مؤمن»، ومدار الإيمان والإحسان، على هذه الأصول، والمقامات الثلاثة (ابن-تيمية، د. ت) (ابن-القيم، 1996) (ابن-القيم، طريق الهجرتين وباب السعادتين، 1998).

والخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتمّ طيرانه، وإذا نقص أحدهما، وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حدّ الموت (ابن-القيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، د. ت).

أمّا المحبّة، فهي أهمّ أعمال القلوب على الإطلاق؛ لأنّها أصل أعمال الإيمان، كما أنّ التصديق أصل أقواله، وهي ثمرة العلم بجمال الربّ سبحانه، وكماله وإنعامه وإحسانه؛ لأنّ القلوب مجبولة على محبّة الكمال، وعلى محبّة من أحسن إليها.

وحيث تقدّم النفع على الضرّ، فلتقدّم ما يتضمّن النفع، وذلك في سبعة مواضع: ثلاثة منها بلفظ الاسم، وهي في الأعراف والرعد وسبأ، وأربعة بلفظ الفعل، وهي في الأنعام ويونس والأنبياء والفرقان.

أمّا في الأعراف فلِتقدّم قوله: «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» [الأعراف: ١٧٨]، فقدّم الهداية على الضلال، وبعد ذلك: «لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ» [الأعراف: ١٨٨]، فقدّم الخير على السوء، وكذا قدّم النفع على الضر «قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا» [الأعراف: ١٨٨]، وفي يونس قدّم الضرّ على الأصل، ولموافقة ما قبلها، فإنّ فيها «مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ» [يونس: ١٨]، وفيها «وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ» [يونس: ١٢]. فجاءت «مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ» [يونس: ١٠٦]، وكذلك ما جاء بلفظ الفعل فلسابقة معنى يتضمّن نفعا.

أمّا الأنعام ففيها: «لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ» [الأنعام: ٧٠]، ثمّ وصله بقوله: «قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا» [الأنعام: ٧١].

وفي يونس تقدّم: «ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ» [يونس: ١٠٣]، ثمّ قال: «وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ» [يونس: ١٠٦].

وفي الأنبيّاء في قصّة إبراهيم عليه السلام، تقدّم قول الكفار لإبراهيم: «لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ» [الأنبياء: ٦٥ - ٦٦]، وفي الفرقان تقدّم: «أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ» [الفرقان: ٤٥]، نعما جمّة في الآيات، ثمّ قال: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ» [الفرقان: ٥٥].

فتأمّل هذه المواضع التي هي أعظم اتّساقا من العقود، كما يقول الزركشي رحمه الله (الزركشي، 1988).

خاتمة:

هكذا يتفنّن القرآن الحكيم في النقل من أسلوب إلى آخر، بأنسب الألفاظ وأدقّ المعاني، وأروع السياقات، وأحكم المناسبات، مع اشتماله في كلّ ذلك على فوائد قيّمة، وحكم باهرة بديعة، تزيد المؤمن إيمانا ويستبشر بذلك، والمنافق رجسا إلى رجسه ويتحسّر لذلك، قال الله: «فَأَمَّا الَّذِينَ آَمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ» [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

وهكذا يتجلّى لنا بوضوح، مدى أهمّيّة التناسب اللفظي والمعنوي في فهم نصوص القرآن الكريم، وبيان معانيها، واستجلاء غوامضها، وإدراك مقاصدها وغاياتها، وكشف أسرارها البلاغية والإعجازية على حدّ سواء.

المراجع:

ابن منظور. (1998). لسان العرب. بيروت: دار الجيل.

ابن-القيم. (1996). بدائع الفوائد. مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز.

ابن-القيم. (1998). طريق الهجرتين وباب السعادتين. بيروت: دار الجيل.

ابن-القيم. (د. ت). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. بيروت: دار الجيل.

ابن-الوزير. (1987). إيثار الحق على الخلق (المجلد 2). بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن-تيمية. (د. ت). مجموع الفتاوى. الرباط: المكتب التعليمي السعودي.

ابن-حزم. (1984). الإحكام في أصول الأحكام (المجلد 1). القاهرة: دار الحديث.

أبو-البقاء. (1998). الكليات (المجلد 2). بيروت: مؤسسة الرسالة.

أحمد بن فارس. (1991). معجم مقاييس اللغة. بيروت: دار الجيل.
الباقلاني. (2001). الانتصار للقرآن (المجلد 1). بيروت: دار ابن حزم.
البقاعي. (1995). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (المجلد 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
البيهقي. (د. ت). الأسماء والصفات (المجلد 1). جدة: مكتبة السوادي.
الخالدي. (1983). نظرية التصوير الفني عند سيد قطب (المجلد 1). الأردن: دار الفرقان.
الرازي. (د. ت). مختار الصحاح. بيروت: دار الجيل.
الزركشي. (1988). البرهان في علوم القرآن. بيروت: دار الجيل.
الزمخشري. (1998). أساس البلاغة (المجلد 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
السيوطي. (1988). معترك الأقران في إعجاز القرآن (المجلد 1). بيروت: دار الكتب العلمية.
السيوطي. (1998). الإتقان في علوم القرآن. بيروت: المكتبة العصرية.
الفوزان. (2002). إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (المجلد 3). بيروت: مؤسسة الرسالة.
الفيروزأبادي. (1998). القاموس المحيط (المجلد 6). بيروت: مؤسسة الرسالة.
الفيومي. (1998). المصباح المنير (المجلد 2). بيروت: المكتبة العصرية.
المناوي. (1990). التوقيف على مهمات التعاريف (المجلد 1). بيروت: دار الفكر.
سيد-قطب. (1994). التصوير الفني في القرآن (المجلد 11). القاهرة: دار المعارف.
سيد-قطب. (1996). في ظلال القرآن (المجلد 25). القاهرة: دار الشروق.
مرعي بن يوسف الكرمي. (1986). أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات (المجلد 1). بيروت: مؤسسة الرسالة.